

أضواء البيان

. @ 478 @ .

وقد فصل أبو حيان على ما قدمنا ، فقال : إن كان بمعنى الحضور ، فالشاهد الإنسان والمشهود يوم القيامة ، ولما ذكر اليوم الموعود ناسب أن يذكر كل من يشهد في ذلك اليوم ، ومن يشهد عليه ، وذكر نحوًا من عشرين قولاً . وقال : كل له متمسك ، والذي يظهر و□ تعالى أعلم : أنه من باب الشهادة لأن ذكر اليوم الموعود وهو يكفي عن اليوم المشهود ، بل إنه يحتاج إلى من يشهد فيه وتقام الشهادة على ما سيعرض فيه لإقامة الحجة على الخلق لا لإثبات الحق . .

وقد جاء في القرآن تعداد الشهود في ذلك اليوم ، مما يتناسب مع العرض والحساب . . ومجمل ذلك أنها تكون خاصة وعامة وأعم من العامة ، فمن الخاصة شهادة الجوارح على الإنسان كما في قوله تعالى : { حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } ، وقوله : { الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } ، وهذه شهادة فعل ومقال لا شهادة حال ، كما بينها قوله تعالى عنهم : { وَقَالُوا لِمَ لِي جُلُودُهُمْ لِمَ شَهِدَتْهُمْ عَلَيْهِنَا قَالُوا أُنْطِقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوْسَلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تَرْجَعُونَ } * وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْهِكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَا كُنْ طَائِفَتُكُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِاللَّهِ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ } ، ورد □ زعمهم ذلك بقوله : { وَذَلِكُمْ طَائِفَتُكُمُ الَّذِينَ طَائِفَتُكُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدَاكُمْ فَأَصْبَحَتْكُمُ مِنَ الْخَاسِرِينَ } . .

وتقدم للشيخ بيان شهادة الأعضاء في سورة يس وفي سورة النساء عند قوله تعالى : { وَلَا يَكْتُمُونَ لِلَّهِ حَدِيثًا } ، وشهادة الملائكة وهم الحفظة كما في قوله تعالى : { وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ } ، وقوله : { وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ } ، ثم شهادة الرسل كل رسول على أمته ، كما في قوله عن عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم ، { وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ } ، فهذا وإن كان في الحياة فسيؤديها يوم القيامة . . وكقوله في عموم الأمم { وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ } .

مِّنْ أَنْفُسِهِمْ { .